

الجمهورية التونسية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة صفاقس
كلية الآداب والعلوم الإنسانية بصفاقس



RU RECHERCHES
UNIVERSITAIRES
FLSHS

ISSN – 2811-6585 (ر.د.م.م) / E-ISSN - 3125-9146

Academic Research

بحوث جامعية

مجلة في الآداب واللسانيات والعلوم الإنسانية

عدد 22

(2026)

<https://recherches-universitaires-flshs.com/>

Ce site permettra aux internautes qui s'y inscriront via l'« Espace Membre » de consulter ou de télécharger des articles déjà parus dans les numéros précédents de la revue ou alors de soumettre des articles pour évaluation à paraître après acceptation dans un prochain numéro.

بحوث جامعية

دورية محكمة تصدر عن كلية الآداب والعلوم الانسانية بصفاقس

ISSN - 2811-6585 - ر.د.م.م - E-ISSN - 3125-9146

Recherches Universitaires
Academic Research

عدد 22
(2026)

رئيس هيئة التحرير

صادق ديمق

أعضاء هيئة التحرير

حافظ عبدولي — هنده عمار قيراط — سالم العيادي — علي بن نصر
— نجيبة شقير — حمادي ذويب — ناجي العونلي — سرور الحشيشة
— م.لمد الجربي — منصف المحواشي — رياض الميلادي — فتحي الرقيق
— عقيلة السلامي البقلوطي — سعدية ب.ب.ي الخبو



كلية الآداب والعلوم الانسانية بصفاقس

<https://flshs.rnu.tn>

صندوق بريد 1168، صفاقس 3000 تونس

الهاتف: 74 670 557 (216) - 74 670 558 (216)

الفاكس: 74 670 540 (216)

فهرس – الجزء الأول

هيئة التحرير – ii

توجيه شكر – iv

1

من التّواصل "النّمودجيّ" إلى التّواصل الطّبيعيّ

محمد غاليم صفحة – 1

2

"التّلاقّي" الذي تحيا به الجملة

محمّد القلال صفحة – 39

3

تمثّل الجسد الأنثوي في المدوّنات الفقهية

فيروزبن فقيرة صفحة – 63

4

تشكل الهوية الجندرية والميول الجنسية لدى أفراد مجتمع الميم عين:

سيرورات الذات وتجارب المعاناة الاجتماعية في تونس

سميحة حامدي صفحة – 81

5

الهجرة غير النظامية لأفارقة جنوب الصحراء: واقع السياسات الدولية وقضايا

العيش المشترك (دراسة نظرية، وصفية، تحليلية، لواقع المهاجرين غير

النظاميين بتونس)

عزيزة لشهب صفحة – 106

6

استغلال الفسفاط وأثره في التشكّل المورفولوجي والتوسع الحضري لأمّ العرايس

حسن النصيري صفحة – 132

الجزء الثاني (مقالات بلغات غير العربية) صفحة – 163

<https://recherches-universitaires-flshs.com>

Ce site permettra aux internautes qui s'y inscrivent via l'«Espace Membre» de consulter ou de télécharger des articles déjà parus dans les numéros précédents de la revue ou alors de soumettre des articles pour évaluation à paraître après acceptation dans un prochain numéro

Academic Research

مجلة بحوث جامعية

عدد 22

شكر

تشكر إدارة مجلة بحوث جامعية جزيل الشكر الأساتذة الذين أسهموا في
تحكيم الأعمال العلمية بالنسبة إلى هذا العدد وهم:

هندة عمار قيراط

زهير بن جنات

مراد بن جلول

علي بن نصر

رؤوف ديمق

الحبيب الدرويش

جوهر ذويب

نورة العون

منير قيراط

سرور الحشيشة

فتحية جلاد

محمد الخراط

منصف المحواشي

منجي العمري

شمس الدين الرحالي

فتحي الرقيق

حسن زربية

<https://recherches-universitaires-flshs.com>

Ce site permettra aux internautes qui s'y inscriront via l'«Espace Membre» de consulter ou de télécharger des articles déjà parus dans les numéros précédents
de la revue ou alors de soumettre des articles pour évaluation à paraître après acceptation dans un prochain numéro.

تشكل الهوية الجندرية والميول الجنسية لدى أفراد مجتمع الميم عين: سيرورات الذات وتجارب المعاناة الاجتماعية في تونس

سميحة حامدي
(جامعة صفاقس)

ملخص

يتناول هذا المقال تشكل الهوية الجندرية والميول الجنسية بوصفهما سيرورتين اجتماعيتين، من خلال دراسة تجارب أفراد مجتمع الميم عين في تونس. وينطلق من نقد التصورات التي تفترض وجود علاقة حتمية بين الجنس البيولوجي والهوية الجندرية والميول الجنسية، مستنداً إلى المقاربات السوسيولوجية المعاصرة التي تنظر إلى الجندر باعتباره بناءً اجتماعياً، وإلى الهوية باعتباره مساراً متغيراً يتشكل عبر التفاعل بين التجربة الذاتية والمعايير الاجتماعية.

ويبين التحليل أن الهوية الجندرية والميول الجنسية لا تمثلان معطيين ثابتين أو محددين سلفاً، وإنما تتبلوران عبر مسارات حياتية متغيرة يعيد الأفراد من خلالها بناء علاقاتهم بأجسادهم ورغباتهم وذواتهم. كما تكشف هذه المسارات أن تشكل الذات يتم داخل منظومة معيارية تحدد شروط الاعتراف الاجتماعي، بما يجعل الأفراد الذين لا تنسجم تجاربهم مع التصنيفات الجندرية السائدة عرضة لأشكال متعددة من نزع الاعتراف والوصم والإقصاء والعنف الرمزي والمؤسسي. ومن هذا المنظور، تُفهم المعاناة باعتبارها نتاجاً للتوتر القائم بين التجربة الذاتية والمعايير الاجتماعية بما ينعكس على علاقة الأفراد بذواتهم وبالآخرين وبالمؤسسات الاجتماعية.

واعتمدت الدراسة مقارنة كيفية قائمة على ثماني مقابلات معمقة من نمط السيرة الحياتية، مكّنت من تتبع مسارات تشكل الهوية الجندرية والميول الجنسية، وتحليل المعاني التي يضيفها الأفراد على تجاربهم الحياتية، وفهم الكيفية التي تتقاطع بها عمليات بناء الذات مع تجارب نزع الاعتراف والمعاناة الاجتماعية.

كلمات مفاتيح: الجندر، الهوية الجندرية، الميول الجنسية، التذوّت، نزع الاعتراف، المعاناة الاجتماعية

Abstract

This article examines the construction of gender identity and sexual orientation as social processes through the experiences of LGBTQ+ individuals in Tunisia. It challenges essentialist perspectives that assume a deterministic relationship between biological sex, gender identity, and sexual orientation, drawing on contemporary sociological approaches that conceptualize gender as a social construct and identity as a dynamic process shaped through the interaction between subjective experience and social norms. The analysis shows that gender identity and sexual orientation are neither fixed nor predetermined, but are continuously shaped through life trajectories in which individuals redefine their relationships to their bodies, desires, and sense of self. These trajectories unfold within normative frameworks that regulate the conditions of social recognition, exposing those whose experiences fall outside dominant gender norms to multiple forms of misrecognition, stigma, exclusion, and symbolic and institutional violence. From this perspective, social suffering is understood as the outcome of the tension between subjective experience and normative expectations, affecting individuals' relationships with themselves, others, and social institutions. The study adopts a qualitative approach based on eight in-depth life history interviews, enabling an analysis of the processes through which gender identity and sexual orientation are constructed, as well as the meanings individuals attribute to their

life experiences and the ways in which self-construction intersects with experiences of misrecognition and social suffering.

Keywords: Gender Identity, Sexual Orientation, Subjectivation, Misrecognition, Social Suffering

مقدمة

اهتمّت العلوم الاجتماعية، منذ بداية تسعينات القرن الماضي، بدراسة التحولات التي شهدتها الهويات الجنسية والجندرية في ظل العولمة وما رافقها من إعادة تشكيل للتمثيلات الاجتماعية والثقافية المرتبطة بها بفعل تنامي وسائل الاتصال الحديثة واتساع تداول الأفكار والصور عبر الحدود (بيني، 2004). كما أسهمت ديناميكيات العولمة من تنقل الأفراد وتوسع شبكات التفاعل في بروز أنماط تنظيمية وجماعات جديدة سعت إلى مساءلة أشكال الضبط الاجتماعي المفروضة على العلاقات الجنسية غير المعيارية (مارتال، 2013). وقد واكب ذلك تطور مهم في الدراسات الجندرية التي انتقلت من الاهتمام بالتمييز بين الذكور والإناث إلى مساءلة الكيفية التي تُنتج بها المجتمعات الهويات الجندرية والجنسانية وإلى تحليل علاقاتها بمنظومات السلطة والمعايير الاجتماعية وقضايا الاعتراف.

غير أنّ هذه التحولات لم تؤد إلى تراجع أنماط الوصم والإقصاء خاصة في المجتمعات التي ما تزال تنظم العلاقات الاجتماعية وفق ثنائية جندرية صارمة. وتخضع الجنسية لمنظومة معيارية تجعل من النموذج الغيري المرجع الوحيد للمقبول اجتماعيًا وقانونيًا. ويبرز هذا التوتر بوضوح في المجتمع التونسي، حيث سمحت التحولات التي أعقبت سنة 2011 بقدر أكبر من التعبير العلني عن الهويات الجندرية والتوجهات الجنسية غير النمطية دون أن يواكب ذلك تحول مماثل في أنماط الاعتراف الاجتماعي أو القانوني، إذ ما تزال هذه الفئات تواجه أشكالًا متعددة من الوصم والإقصاء والعنف الرمزي، ممّا يجعل الاعتراف بها اعترافًا هشًا ومتنازعًا عليه.

وفي هذا السياق، لم يعد فهم الهويات الجندرية يقتصر على البحث في خصائصها أو تصنيفها، بل أصبح يقتضي تحليل الكيفية التي تتشكل بها داخل مسارات اجتماعية وذاتية معقدة تتقاطع فيها المعايير الاجتماعية مع الخبرات الفردية. فالمسألة لا تتعلق بماهية الهوية الجندرية بقدر ما تتعلق بسيرونة تشكيلها، وبالعلاقات التي تندسجها مع

مؤسسات التنشئة والضبط الاجتماعي، ومع تجارب الاعتراف ونزع الاعتراف التي يعيشها الأفراد في حياتهم اليومية.

وانطلاقاً من هذا المنظور، يسعى هذا المقال إلى تحليل تشكل الهوية الجندرية لدى الأفراد ذوي التوجهات الجنسية والهويات الجندرية غير النمطية في تونس، من خلال تتبع المسارات التي يُعاد عبرها بناء الذات في ظل منظومة معيارية تؤطر التجربة الاجتماعية وتحدد شروط الاعتراف بها. وتنطلق الدراسة من فكرة مفادها أن الهوية الجندرية لا تُختزل في المحدد البيولوجي ولا تُفهم باعتبارها معطًى ثابتاً أو مكتملاً، بل تتبلور ضمن سيرورة اجتماعية وذاتية مركبة. إذ تتقاطع فيها علاقات السلطة مع الأطر الثقافية والمعارية وتتفاعل فيها التجارب الفردية مع الخبرات المعيشية لإنتاج المعنى وبناء الذات. ومن ثم، تتمثل الإشكالية المركزية لهذا المقال فيما يلي: كيف تشكل الذات الجندرية داخل المجتمع التونسي؟ وكيف تكشف هذه السيرورة عن العلاقة المعقدة بين التدوّت، والمعايير الاجتماعية، وتجارب نزع الاعتراف والمعاناة الاجتماعية؟

واعتمدنا في هذا البحث مقارنة كيفية قائمة على مقابلات سيرة الحياة، لما تتيحه من فهم معمق لمنطق الفعل وللمعاني التي يضيفها الأفراد على تجاربهم. وقد شملت الدراسة ثمانين مقابلات معمقة، مكّنت من تتبع المسارات البيوغرافية للمبحوثين، والكشف عن التوترات التي يعيشونها بين الهوية المسندة اجتماعياً والهوية التي يبنونها عبر تجاربهم الحياتية.

وينتظم هذا المقال حول ثلاثة محاور مترابطة. يتناول المحور الأول الأسس النظرية التي مكّنت من تجاوز التصورات الجوهرانية للجندر، ويحلل المحور الثاني تشكل الهوية الجندرية باعتبارها سيرورة للتدوّت من خلال السرديات الحياتية للمبحوثين، بينما يخصص المحور الثالث لتحليل المعاناة بوصفها تجربة اجتماعية ترتبط بعلاقات نزع الاعتراف والمعايير المهيمنة التي تؤطر تشكل الذات.

1. الجندر كإشكال سوسيولوجي: من إنتاج الاختلاف إلى تفاوض الهوية

تنطلق المقاربة الجندرية من مساءلة البناء الاجتماعي الذي ينتج التمايز بين الجنسين انطلاقاً من تمثيلات تمنح الاختلاف البيولوجي معنى طبيعياً وثابتاً. فهذه التمثيلات لا تكتفي بوصف الفروق الجسدية، وإنما تحولها إلى أساس لتحديد أدوار

ومواقع اجتماعية مختلفة للذكور والإناث. وقد بينت المقاربات الجندرية أن المعاني المرتبطة بالاختلاف البيولوجي ليست معطيات جاهزة أو مستقلة عن المجتمع، وإنما تتشكل تاريخيًا داخل منظومات رمزية ومؤسسات اجتماعية تحدد ما يُنتظر من الرجال والنساء وتضبط أشكال السلوك والمكانة المرتبطة بكل منهما.

وفي هذا السياق، تعد جوان سكوت من أبرز الباحثات اللواتي أسهمن في بناء هذا المنظور، إذ عرّفت الجندر باعتباره "عنصرًا أساسيًا من تنظيم العلاقات الاجتماعية القائمة على الاختلافات المتمثلة بين الجنسين" (سكوت، 1986، 1053-1075)، كما اعتبرته "طريقة أولى للدلالة على علاقات السلطة" (نفسه). ومن خلال هذا التعريف، يصبح الجندر أداة تحليلية تكشف كيفية إنتاج الاختلافات الاجتماعية وتنظيم علاقات القوة داخل المجتمع. فهو لا يحيل إلى الفروق بين الرجال والنساء في حد ذاتها، وإنما إلى الطريقة التي تُمنح بها هذه الفروق معاني اجتماعية وتراتبية تؤثر في توزيع المواقع والموارد والاعتراف.

ويتخذ هذا البناء الاجتماعي للجندر مستويين مترابطين. يتمثل المستوى الأول في البعد المادي، حيث يظهر من خلال توزيع المواقع الاجتماعية والموارد والسلطة والفضاءات العامة بين الذكور والإناث. أما المستوى الثاني فيرتبط بالبعد الرمزي، ويتمثل في منظومة القيم والمعايير والتمثيلات الثقافية التي تمنح الذكورة والأنوثة دلالاتهما الاجتماعية، وتحدد الأدوار والتوقعات المرتبطة بكل منهما. وقد أوضح بيار بورديو (1996)، في تحليله للهيمنة الذكورية، أن استمرار هذه التراتيبات لا يقوم على أشكال الإكراه المباشر وحدها، وإنما يرتبط أيضًا بآليات رمزية تجعل النظام الاجتماعي يبدو طبيعيًا ومشروعًا حتى بالنسبة إلى الفاعلين الذين يعيشون داخله.

وعليه، يظهر الجندر بوصفه مبدأً منظمًا للعلاقات الاجتماعية، إذ لا يكتفي بإنتاج الاختلاف بين الجنسين، وإنما يساهم في ترتيب هذا الاختلاف داخل نسق غير متكافئ من القيم والمواقع. فالذكورة والأنوثة لا تُفهمان هنا باعتبارهما مجرد خصائص فردية، وإنما باعتبارهما فئتين اجتماعيتين تُنتجان داخل سياقات ثقافية وتاريخية محددة وتحملان آثارًا متفاوتة من حيث المكانة والسلطة والاعتراف.

وانطلاقًا من نقد هذه البنى المنتجة للتراتبيات، سعت الحركات النسوية إلى مساءلة الثقافة الباترياركية باعتبارها نظامًا اجتماعيًا يعيد إنتاج علاقات الهيمنة. وقد ظهرت

هذه الحركات، خاصة خلال أواخر ستينيات القرن العشرين في الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا الغربية في سياق تحولات اجتماعية وسياسية واسعة أعادت النظر في مختلف أشكال السلطة والمعايير الاجتماعية. وقد ارتبطت هذه المرحلة بالموجة الثانية من النسوية التي تجاوزت المطالب الحقوقية التقليدية لتتجه نحو تحليل البنى الثقافية والرمزية التي تجعل عدم المساواة بين الجنسين ممكنة ومستقرة.

كما تقاطعت هذه التحولات لاحقًا مع الحركات الاجتماعية المدافعة عن حقوق الأقليات الجنسية والهويات الجندرية غير النمطية، ضمن نقد مشترك للنظام الغيري المهيمن باعتباره نظامًا معياريًا يربط بصورة حتمية بين الجنس البيولوجي والهوية الجندرية والميولات الجنسية. وقد انصب هذا النقد على مسألة التصنيفات الثنائية التي تحدد أشكال الهوية المقبولة اجتماعيًا، وتضع في المقابل أشكالًا أخرى في موقع الاختلاف أو الهامش. ومن ثم، فإن التجارب التي تخرج عن هذه التصنيفات لا تُفهم باعتبارها اختيارات فردية معزولة، وإنما باعتبارها تجارب اجتماعية تكشف عن قوة المعايير الجندرية وآليات الوصم المرتبطة بها.

عرفت المقاربة الجندرية بعد ذلك تحولًا نظريًا مهمًا مع بروز تصورات أعادت النظر في العلاقة المفترضة بين الجنس البيولوجي والجندر. فقد بدأت فكرة وجود تطابق طبيعي بين الجسد والهوية الجندرية تتعرض للنقد مع ظهور مقاربات أكدت أن الجسد لا يحدد بصورة مباشرة ونهائية الطريقة التي يعيش بها الفرد ذاته. وفي هذا السياق، لعب روبرت ستولر دورًا تأسيسيًا منذ أواخر ستينيات القرن العشرين، حين ميز بين الجنس بوصفه معطى بيولوجيًا، والجندر بوصفه بناءً نفسيًا واجتماعيًا وثقافيًا (ستولر، 1968). وقد سمح هذا التمييز بإبراز أن الهوية الجندرية لا تنتج بصورة آلية عن الخصائص الجسدية، وإنما تتشكل من خلال تفاعل معقد بين الجسد والتجربة الذاتية والبيئة الاجتماعية.

وبذلك فتح ستولر المجال أمام فهم الهوية الجندرية باعتبارها تجربة تتجاوز التحديد البيولوجي المباشر. فالجسد، رغم أهميته في تشكيل التصورات الاجتماعية حول الذكورة والأنوثة، لا يقدم وحده تفسيرًا نهائيًا للهوية التي يعيشها الفرد. ومن هنا أصبحت دراسة الجندر تهتم بالكيفية التي تُنتج بها المجتمعات معاني الجسد والهوية والانتماء،

وبالشروط الاجتماعية التي تمنح بعض أشكال الهوية الاعتراف وتضع أشكالاً أخرى في موقع المساءلة.

وتتيح التجارب المعيشة اختبار هذه التحولات النظرية، لأنها تكشف عن المسافة التي قد تفصل بين التعريف الاجتماعي للجسد وبين التجربة الذاتية للهوية. وفي هذا السياق، تقدم الحالة التالية مثالاً على التوتر بين التصنيف المفروض اجتماعياً وبين الطريقة التي يعيش بها الفرد ذاته:

"لقد وُلدت بعضو تناسلي ذكري، لكنني كنت أشعر منذ الصغر بأنني فتاة. لم يكن لهذا المعطى الجسدي معنى بالنسبة إلي بقدر ما كان إحساسي الداخلي هو المحدد لهويتي. غير أن أسرتي، وخاصة أمي، كانت تنظر إلى جسدي بوصفه المعيار الوحيد للحقيقة، وهو ما دفعها إلى عرضي على طبيب في سن مبكرة. ما زلت أتذكر تجربة الفحص بكل تفاصيلها، وما صاحبها من شعور بالإهانة، حيث تم اختزالي في جسدي وكأن قيمتي تُقاس به. لم يكن الأمر يتعلق بالجنس في حد ذاته، بل بهويتي الجندرية التي أشعر بها وأرغب في العيش وفقها". (ر.م، 24 سنة، عابرة جندرية)

تكشف هذه الشهادة عن الطريقة التي تشغل بها المعايير الجندرية داخل المجالين العائلي والطبي، حيث يتحول الجسد إلى موضوع للتصنيف والمراقبة وفق تصورات تجعل التعريف البيولوجي مرجعاً أساسياً لفهم الهوية. وتبرز أهمية هذه الحالة في أنها تُظهر أن الجسد لا يحضر داخل المجتمع باعتباره واقعاً بيولوجياً فقط، وإنما باعتباره حاملاً لمعانٍ اجتماعية تحدد كيفية تأويله وموقع الفرد المرتبط به داخل النظام الجندري السائد. كما تكشف عن التوتر بين مستويين في تشكّل الهوية: مستوى اجتماعي تُفرض من خلاله تصنيفات تستند إلى المعايير المتداولة ومستوى ذاتي يتعلق بالطريقة التي يعيش بها الفرد ذاته ويمنح تجربته معنى.

وتكشف هذه التجربة أيضاً أن المعايير الجندرية تتجاوز تنظيم الأدوار المرتبطة بالذكورة والأنوثة لتساهم في تحديد الحدود التي تفصل بين الهويات التي تحظى بالاعتراف الاجتماعي وتلك التي تواجه صعوبات في اكتساب هذا الاعتراف. ومن هنا، لم يعد تحليل الجندر مقتصرًا على دراسة توزيع الأدوار بين الرجال والنساء، وإنما امتد إلى مساءلة الكيفية التي تُنتج بها الفئات الجندرية نفسها والآليات التي تجعل بعض التصنيفات تبدو طبيعية وثابتة رغم كونها نتاجاً لسيرورات اجتماعية وتاريخية.

في هذا السياق، قدمت جوديث بتلر إسهامًا حاسمًا في تعميق هذا التحليل من خلال تعريفها للجندر بوصفه "أداءً" لا يعكس هوية سابقة أو جوهرًا ثابتًا، وإنما يتشكل عبر تكرار الأفعال والخطابات داخل إطار معياري ملزم (بتلر، 1990). فالجندر، وفق هذا التصور، يتكون داخل سيرورة اجتماعية متواصلة تقوم على تكرار الممارسات الجسدية والخطابية والرمزية التي يمنحها المجتمع معاني مرتبطة بالذكورة أو الأنوثة. ومن خلال هذا التكرار تكتسب المعايير الجندرية مظهرًا طبيعيًا ومستقرًا، في حين أنها في الواقع نتاج تاريخي واجتماعي يُعاد إنتاجه باستمرار.

ويتقاطع هذا التصور مع ما يؤكدُه منصف الحواشي حول الطبيعة السيروورية للجندر، إذ يرى أن النوع لا يمثل ماهية ثابتة أو خاصية مستقرة، وإنما هو مجموعة من الممارسات والإجراءات الاجتماعية المتواصلة. ويشير إلى أن "النوع هو عمليات وإجراءات أكثر منه ماهية ثابتة، يُنتج ويُعاد إنتاجه باستمرار". إنه "نسق من الممارسات المتشابكة ومتعددة المستويات والمائلة في كل أعطاف الوجود الاجتماعي"، وهو بذلك "يُنتج التمايزات بين الذكور والإناث وبين الأشخاص مختلفي الميول والانتماء الجنسي" (الحواشي، 2018، 83-105). ويؤكد هذا التصور أن الجندر لا يوجد فقط في مستوى التجربة الفردية، وإنما ينتظم داخل مختلف مجالات الحياة الاجتماعية، حيث يساهم في توزيع المواقع والأدوار وإنتاج المعاني المرتبطة بالجنس والجنسانية.

ويمتد تحليل بتلر إلى مساءلة الحدود التقليدية بين الجنس والجندر؛ فهي لا تكتفي بإعادة تعريف الجندر باعتباره بناءً أدائيًا، وإنما تعيد النظر أيضًا في فكرة الجنس باعتباره حقيقة بيولوجية مستقلة عن أي وساطة اجتماعية. فالجنس ذاته، وفق هذا التصور، يخضع لعمليات تصنيف وتأويل تنتجها خطابات علمية وطبية وقانونية تساهم في تثبيته باعتباره واقعًا طبيعيًا (بتلر، 1993). وبذلك يصبح التطابق المفترض بين الجنس والجندر والميولات الجنسية نتيجة نظام معياري يعمل على إنتاج هذا الترابط وتثبيته، وليس مجرد انعكاس مباشر للطبيعة.

وتوضح بتلر هذا التصور حين تشير إلى أن الجندر لا ينبغي فهمه باعتباره هوية ثابتة، "بل يتشكل كهوية تُنسج عبر الزمن من خلال تكرار مُنمط للأفعال" (بتلر، 2005، 265). فالأفعال الجندرية لا تأتي بوصفها تعبيرًا عن هوية موجودة مسبقًا، وإنما تساهم في إنتاج هذه الهوية ومنحها معنى اجتماعيًا. ولذلك فإن ما يظهر باعتباره تعبيرًا طبيعيًا عن

الذكورة أو الأنوثة يرتبط في الواقع بتراكم ممارسات ومعايير اجتماعية تتكرر داخل سياقات تاريخية وثقافية محددة.

وفي هذا الإطار، تشير بتلر إلى أن افتراض وجود هوية جندرية "حقيقية" أو أصلية يسبق التعبير عنها لا يمثل حقيقة مكتشفة، وإنما يشكل "خيالاً تنظيمياً" (بتلر، 1990). ويشير هذا المفهوم إلى أن فكرة وجود جوهر ثابت للهوية تساعد على تثبيت التصنيفات الجندرية وتنظيم الأفراد وفق نماذج محددة لما ينبغي أن تكون عليه الذكورة والأنوثة. ومن ثم، فإن ما يُقدّم باعتباره حقيقة طبيعية وثابتة حول الجندر يرتبط بسيرورات اجتماعية تمنح بعض أشكال الهوية شرعية واعترافاً، بينما تجعل أشكالاً أخرى موضع مساءلة أو إقصاء.

وإذا كانت حقيقة الجندر تتشكل من خلال أداء اجتماعي متواصل فإن فكرة وجود جنس جوهري وثابت تظهر بدورها بوصفها جزءاً من نظام معياري يحجب الطابع التاريخي والاجتماعي لكل من الجنس والجندر (بتلر، 1993). فالمعايير لا تحدد فقط الأشكال المقبولة للذكورة والأنوثة، وإنما تنتج أيضاً الاعتقاد بأن هذه الأشكال تستند إلى طبيعة سابقة على المجتمع.

مع ذلك، لا يقود هذا التحليل إلى اختزال الأفراد في قوة المعايير الاجتماعية، وإنما يفتح المجال لفهم الطرق التي يعيدون بها بناء علاقاتهم بهذه المعايير داخل تجاربهم اليومية. فالهوية الجندرية تتشكل عند نقطة التقاء بين الإكراهات الاجتماعية والخبرة الذاتية، حيث يتفاعل الأفراد مع المعايير السائدة بطرق مختلفة: فقد يعيدون إنتاجها، أو يعيدون تفسيرها، أو يتفاوضون حولها ضمن مسارات حياتهم الخاصة.

ومن هنا، يصبح مفهوم تفاوض الهوية مدخلاً لفهم العلاقة المعقدة بين الفرد والنظام الجندري. فالأفراد ليسوا مجرد موضوعات للضبط الاجتماعي، كما أنهم لا يوجدون خارج الأطر التي تمنح هوياتهم معناها، وإنما يتحركون داخل فضاء اجتماعي يعيدون فيه بناء علاقاتهم بالمعايير والتصنيفات القائمة.

وعليه، فإن الانتقال من فهم الجندر باعتباره آلية لإنتاج الاختلاف إلى فهمه باعتباره مجالاً لتفاوض الهوية يسمح بتجاوز التصورات التي تختزل الأفراد في مواقع محددة سلفاً. فالهوية الجندرية تتشكل داخل فضاء مركب يجمع بين أنظمة التصنيف والضبط

الاجتماعي من جهة، وبين قدرة الأفراد على إعادة تفسير ذواتهم والسعي إلى الاعتراف بموقعهم داخل العالم الاجتماعي من جهة أخرى.

2. مسارات تشكل الهوية الجندرية والجنسانية : بين التجربة وإعادة بناء الذات

بعد تحليل الجندر باعتباره نظامًا اجتماعيًا ينتج الاختلافات والمعايير المرتبطة بالذكورة والأنوثة، يطرح تشكل الهوية سؤالاً آخر يتعلق بكيفية عيش الأفراد هذه التصنيفات داخل تجاربهم اليومية، وبالكيفية التي يعيدون من خلالها بناء علاقاتهم بذواتهم وأجسادهم ورغباتهم. فالهوية الجندرية والجنسانية لا تتبلور فقط داخل منظومات اجتماعية تحدد ما يُعتبر طبيعيًا أو مشروعًا، وإنما تتشكل أيضًا عبر التجارب التي يخوضها الأفراد والمعاني التي يمنحونها لمساراتهم الخاصة.

ومن هذا المنظور، يسمح النظر إلى الهوية باعتبارها مسارًا اجتماعيًا بفهم الكيفية التي تتكون بها الذات عبر الزمن، من خلال لحظات من التجربة وإعادة التأويل وإعادة بناء المعنى. فالهوية لا تظهر كحالة نهائية مستقرة، وإنما تتشكل ضمن سيرورات تتداخل فيها الخبرة الذاتية مع السياقات الاجتماعية التي يعيش فيها الفرد.

وتكشف بعض التجارب الميدانية أن العلاقة بين الجسد والأداء الجندري والرغبة الجنسية تسير دائمًا وفق نموذج نمطي يفترض انسجامًا ضروريًا بين هذه المستويات. ويتجلى ذلك في شهادة إحدى المشاركات، وهي عابرة جندرية تمارس العمل الجنسي، حيث تصف تجربتها قائلة: "في العلاقة الجنسية أقوم بدور الأنثى بامتياز: فقد أقضي مع الزبون ليلة كاملة ولا يتفطن مطلقًا أنني بجسد رجل" (مقابلة مع عابرة جنسية، 24 سنة، عاملة جنس، سوسة، أكتوبر 2024). كما تضيف: "كثير من زبائني رجال متزوجون ولا يعتبرون أنفسهم مثليين ويعترفون لي بأنهم يستمتعون بممارسة الجنس معي أكثر مما يستمتعوا به مع زوجاتهم". (نفس المصدر).

تكشف هذه الشهادة عن تعدد المستويات التي تتداخل في بناء الهوية الجنسية والجندرية، إذ تفصل بين الجسد البيولوجي، والدور الذي يتم أدائه داخل العلاقة الجنسية، والتصور الذي يحمله الفرد أو الآخرون حول الهوية والميول. فالتجربة المعيشة لا تتطابق دائمًا مع التصنيفات الاجتماعية الجاهزة، وإنما تتشكل داخل فضاءات من التفاوض حول الجسد والرغبة ومعنى الذات.

كما تشير هذه الحالة إلى أن التوجهات الجنسية لا تُعاش دائماً ضمن تصنيفات ثابتة ونهائية، وإنما قد تتضمن تحولات وإعادة تعريف مستمرة داخل مسار التجربة الفردية. وهو ما يتقاطع مع ما يؤكد كولمان (1982) حين يرى أن التوجهات الجنسية لا يمكن اختزالها في ثنائيات مغلقة، بل تتجلى عبر استمرارية أو تحول المواقع داخل التجربة المعيشة.

وتسمح هذه المعطيات بفهم تشكل الهوية باعتباره نتاج تفاعل بين مستويات متعددة تشمل الجسد، والتنشئة الاجتماعية، والخبرة الذاتية. وفي هذا السياق، يوضح مالريو ومالريو (1973) وتوبين وآخرون (2010) أن التماهي الجندري يتشكل عبر تداخل عوامل اجتماعية ونفسية، حيث يشارك الفرد في بناء تصوره لذاته من خلال علاقته بالآخرين وبالمعايير المحيطة به.

ولا يتشكل هذا التماهي من خلال تأثير التنشئة الاجتماعية الخارجية فقط، وإنما يتضمن أيضاً أشكالاً من المشاركة الذاتية في بناء المعنى. فالفرد لا يستقبل التصنيفات الجندرية بصورة سلبية، وإنما يعيد تفسيرها وتعديل علاقته بها من خلال التجربة والممارسة اليومية. وفي هذا الإطار، يشير توبين وآخرون (2010) إلى مفهوم "التنشئة الذاتية" باعتباره عملية يساهم من خلالها الفرد في إعادة إنتاج تمثلاته الجندرية عبر التعلم والخبرة والتفاعل الاجتماعي.

وانطلاقاً من هذا المنظور، تكشف مسارات أفراد مجتمع ميم عين عن تجارب لا تتبع مساراً خطياً نحو هوية محددة مسبقاً، وإنما تتشكل عبر لحظات متتالية من الاكتشاف والتجريب وإعادة تعريف العلاقة بالذات والآخرين. فالهوية تتكون من خلال تراكم الخبرات وما تحمله من تحولات في الرغبة والسلوك وطريقة فهم الفرد لموقعه داخل العالم الاجتماعي.

وفي هذا السياق، يكتسب مفهوم "المسيرة" عند هاوارد بيكر أهمية تحليلية لفهم هذه التحولات. فالمسيرة لا تشير فقط إلى تتابع الأحداث والمواقع التي يمر بها الفرد، وإنما تشمل أيضاً الطريقة التي يمنح بها معنى لتجربته ويعيد تنظيمها ضمن سردية شخصية متماسكة. ويميّز بيكر بين بعد موضوعي يتعلق بتتابع المواقع والإنجازات والمسؤوليات، وبعد ذاتي يتعلق بكيفية إدراك الفرد لتجربته ومنحها معنى (بيكر، 1985).

ومن هذا المنظور، تصبح الهوية الجندرية والجنسانية نتاجاً لمسار يتشكل عبر التجارب والعلاقات والتحويلات، وليس مجرد امتلاك هوية ثابتة داخل تصنيف اجتماعي محدد. كما يوضح بريخوس وآخرون (2003) أن الهويات الاجتماعية لا تُمارس باعتبارها معطيات جاهزة، وإنما تُنتج داخل قواعد اجتماعية غير مرئية تنظم أشكال الانتماء والاعتراف داخل الفضاءات الاجتماعية.

وتتيح هذه المقاربة الانتقال من النظر إلى الهوية باعتبارها نتيجة نهائية إلى فهمها كسيرورة يتفاعل فيها الفرد مع المعايير الاجتماعية، سواء من خلال تبنيها أو إعادة تفسيرها أو التفاوض حولها. ومن هنا تصبح السيرة الحياتية مدخلاً أساسياً لتتبع الكيفية التي يعيد بها الفاعل بناء ذاته عبر الزمن.

وتوفر السيرة التالية مثالاً على هذا التشكل المساري، إذ تكشف عن مجموعة من اللحظات التي أعاد خلالها المبحوث تفسير علاقته بجسده ورغباته وموقعه داخل النظام الاجتماعي.

إطار رقم 1: مسارات شكل هوية شاب مثلي جنسي

أبلغ من العمر 32 سنة، عشت طفولة عادية ولم يكن لي أي انجذاب لجنس الرجال. لقد كانت أول علاقة لي مع رجل بالصدفة، وكان ذلك لما كنت في السادسة عشرة من عمري، وكانت لي آنذاك صديقة أحبا وأقيم معها علاقة جنسية. ثم لم أعد أستمع كثيراً بعلاقتي الجنسية مع صديقتي ولم أفهم لماذا. عند بلوغ الثامنة عشر كنت في المترو ولاحظت أن هناك من ينظر إلي بطريقة غريبة، نظرت له باستنكار ليس لأنني لا أريد ذلك ولكن كنوع من المقاومة. عندما نزلت من المترو لحق بي ذلك الشاب، قلت له لماذا تنظر إلى هكذا وماذا تريد مني، فطلب مني أن نتعرف على بعض وأن نحتمي كوبا من قهوة. في الحقيقة وافقت دون تردد. في المقهى تحدثنا كثيراً عن الجنس والجنسانية، لم أكن أعرف وقتها معنى المثلي الجنسي، صدمني عندما حدثني عن علاقة عاطفية مع رجل. بالنسبة لي لا يوجد حب بين رجلين، أنا وقتها كنت فقط أبحث عن المتعة الجنسية. عندما عدت إلى المنزل بحثت في الأنترنت على معلومات عن الجنسية والتوجهات الجنسية فأدركت أن عديد المعلومات كانت غائبة عني، وأصبحت منذ ذلك الحين أطلع على مقالات تتعلق بالحياة الجنسية. لكن كل قراءاتي و ما شهدته من أفلام لم تغير قناعاتي بأنه لا يمكن أن تكون هناك علاقة حب بين رجلين. في البداية كانت العلاقة مع هذا الشاب تقتصر على الجنس الفموي والتقبيل، وبقيت أرفض بشدة الجنس الشرجي لمدة ثمانية أشهر. وافقت أن أقوم مع صديقي بعلاقة شرجية ولكن كنت مصرا على أن أكون أنا الفاعل وليس المفعول به، كانت التجربة الجنسية ممتعة وتواصلت العلاقة لمدة سنة، إلى أن أخبرني في إحدى الليالي أنه يحبني، يبدو أنه لم يتوقع ردة فعلي تلك، فقد انتابني نوبة من الضحك، فصفعني لأنه شعر بالإهانة، فبادلته الصفعة بمثلها وغادرت المنزل ولم أره بعد

ذلك أبدا. بقيت سنة كاملة أرفض أن ينظر إلى رجل أو أنظر إليه، وكنت على علاقة بصديقة تربطني بها الكثير من المشاعر الجميلة. في يوم من الأيام تغزل بي شخص في الحافلة فرافقته إلى منزله، حينها أخبرني بأنه توجد مواقع خاصة للتعرف على أشخاص مثليين. أقمت معه علاقة جنسية. ولكن لم تثرني كثيرا، وقطعت علاقتي معه مباشرة إثر ذلك. بعدها أصبحت أدخل إلى المواقع الخاصة بذوي التوجهات الجنسية المختلفة وتعرفت على عدد منهم ولكن كنت سريعا ما أنهي علاقتي بهم. غير أنني فهمت أنني ازدواجي التوجه الجنسي، في البداية لم تكن هذه المواضيع تعنيني مطلقا لأنني كنت فقط أبحث عن متعتي الجنسية، لم أسأل نفسي هل أنا مثلي الجنس مثلا أم لا، لم أسأل نفسي لماذا أجد متعة جنسية مع الرجال أكثر مما أجدها مع النساء، وكنت في نفس الوقت أرفض رفضا مطلقا أي علاقة عاطفية يمكن أن تربطني برجل. في الأثناء ارتبطت رسميا بفتاة أكن لها الكثير من العواطف الجميلة، ذلك الشعور كنت أفقده في علاقتي مع الرجال. بعد أن أنهيت دراستي تحصلت على عقد عمل مع شركة أجنبية في تركيا، هناك تعرفت عبر تطبيق خاصة بمجتمع "ميم عين" على صديق تركي أعجبت كثيرا شكله وجسده، وخاصة ثقافته، وكانت لدينا كثير من الأشياء المشتركة. لأول مرة شعرت بأنني أحب رجلا، هو من جعلني أقطع علاقتي مع خطيبي، وهو من جعلني أوافق لأول مرة على أن يتم إيلاجي لأنني أحببته كثيرا ورأيت أن العلاقة يجب أن تكون متكافئة وعادلة.

دامت العلاقة أربعة سنوات كنا نخطط للزواج، كنت أحلم أن أوصل بقية حياتي معه. ولكن انتهت العلاقة فقط لأنه أهانني من فرط غيظه. دخلت بعدها في أزمة نفسية حادة، وانتقلت للعمل في بلد أوروبي وتعرفت بعد سنتين من قطع العلاقة على صديق أوروبي من خلال إحدى التطبيقات. كان هذا ثاني وأكبر حب في حياتي، كان جد مثقف ورومانسي، اكتشفت معه العالم وقمنا بعدد من المغامرات. أنا وصديقي اليوم نخطط للزواج والارتباط الرسمي، لكن طبعاً لن يكون ذلك معلناً في تونس، ولن تعرف عائلتي بذلك، فقد قدمته لأمي على أساس أنه صديقي المقرب فقط.

في الأثناء فقدت أي إحساس تجاه الجنس الآخر ولم أعد أعتبر نفسي ازدواجي التوجه الجنسي بل مثلي جنسي، أما هويتي الجندرية فأنا رجل ولا أريد أن أربط أي علاقة مع رجل يعتبر نفسه امرأة أو يتصرف كأمراة إذ أرفض ذلك تماماً، أريد أن أكون مع رجل مثلي مثله.

أما فيما يخص كيف انتقلت من مرحلة الغيرية إلى ازدواجية الميول الجنسية ثم إلى المثلية الجنسية فأعتقد أن الشخص يكتشف جسده بطريقة أعمق وذلك من خلال التجارب والاطلاع على ثقافات مختلفة والقراءات والسفر. فقد توصلت إلى معرفة الأشياء التي أريدها والتي لا أريدها، أي أين أجد المتعة وكيف أبحث عنها لأكون، فقط كما أريد، فتجربتي لم تغير علاقتي بجسدي فحسب بل حتى تمثلاتي عن الكون فصرت مثلاً أرفض أي ديانة من الديانات. لا يجعلك السفر والتجارب تكتشف الثقافات الأخرى والاختلافات بل يجعلك تكتشف نفسك وجسدك ومشاعرك بصرف النظر عما تلقيناه في طفولتنا من تنميطات

جنسية وجندرية. (م، ق، 32 سنة، مهندس في شركة عالمية، أجريت المقابلة عن بعد عبر تطبيق زووم، جوان 2024).

تُظهر هذه السيرة أن تشكل الهوية لا يحدث عبر انتقال مباشر من موقع إلى آخر، وإنما عبر سلسلة من التجارب التي يعيد الفرد من خلالها فهم ذاته وعلاقته بالآخرين. فالأحداث التي يرونها المبحوث – من التجربة الجنسية الأولى، إلى اكتشاف مفاهيم جديدة حول الجنسية، مرورًا بالعلاقات العاطفية المختلفة، وصولًا إلى إعادة تعريف موقعه وهويته – لا تمثل مراحل منفصلة بقدر ما تكشف عن مسار متدرج من إعادة بناء المعنى.

وتكشف قراءة هذه السيرة أن العلاقة بين الرغبة والهوية لا تتحدد وفق نموذج ثابت أو سابق على التجربة، وإنما تتشكل من خلال تفاعل مستمر بين الخبرة الذاتية والسياقات الاجتماعية والثقافية التي يتحرك داخلها الفرد. فالمبحوث لم ينتقل ببساطة من هوية إلى أخرى، وإنما مرّ بلحظات من التردد والاكتشاف وإعادة التفسير، أعاد خلالها صياغة فهمه لذاته ولموقعه داخل التصنيفات المرتبطة بالجنس والجنسانية.

وتبرز في هذا المسار أهمية اللحظات المفصلية التي أعادت تنظيم علاقة الفاعل الاجتماعي بذاته وبالآخرين. فالتعرف على مفاهيم جديدة حول الجنسية وتجارب العلاقات العاطفية والانفصال ثم الانتقال إلى سياقات ثقافية مختلفة عبر السفر والهجرة، كل ذلك لم يكن مجرد أحداث متتابعة في حياة شريك البحث، وإنما تحولت إلى لحظات أعاد من خلالها تفسير ماضيه وإعادة بناء تصوره لذاته.

ومن هذا المنظور، تتيح مقارنة المسيرة عند هاوارد بيكر فهم هذه التحولات باعتبارها مسارًا يجمع بين الأحداث التي يعيشها الفرد والطريقة التي يمنح بها معنى لهذه الأحداث. فالمسيرة لا تُفهم باعتبارها خطأ مستقيمًا يؤدي إلى نتيجة نهائية، وإنما باعتبارها فضاءً تتداخل فيه التجارب والانقطاعات وإعادة التوجيه. ولا تمثل تجربة شريك البحث الانتقال من علاقة إلى أخرى مجرد تغير في موضوع الرغبة، وإنما يعكس تحولات في الطريقة التي يفهم بها ذاته وعلاقته بالآخرين.

وقد اتضح لنا من السيرة أن الهوية الجنسية لا تتكون خارج التجربة، وإنما من خلالها. فالمبحوث لم يبدأ من هوية مكتملة ثم عبّر عنها، بل تشكل فهمه لذاته تدريجيًا عبر التفاعل مع تجارب مختلفة ومعارف جديدة وعلاقات اجتماعية متعددة. وهذا ما

ينسجم مع ما يشير إليه توبين وآخرون (2010) حول الطابع الذاتي-الاجتماعي لعمليات التماهي، حيث تتداخل الخبرة الشخصية مع عمليات التعلم والتنشئة وإعادة إنتاج المعاني الجندرية.

وفي هذا السياق، يكتسب مفهوم التذويت أهمية خاصة، لأنه يسمح بفهم الطريقة التي يحول بها الفرد التجارب الاجتماعية إلى معرفة ذاتية حول نفسه. فالتذويت لا يعني الانفصال عن المجتمع أو إنتاج هوية مستقلة تمامًا عن السياق، وإنما يشير إلى الكيفية التي يستوعب بها الفرد المعايير الاجتماعية ويعيد تفسيرها داخل مساره الخاص. ومن ثم، تصبح الهوية نتيجة لعلاقة متبادلة بين ما يفرضه المحيط الاجتماعي وما يطوره الفرد من معاني حول ذاته.

وتكشف السيرة أيضًا أن هذا المسار لا يخلو من لحظات أزمة أو انقطاع، إذ إن بعض التجارب تدفع الفرد إلى إعادة التفكير في علاقته بنفسه وبالآخرين. وفي هذا المستوى، يمكن الاستفادة من مفهوم المحنة الوجودية عند بولتنسكي (2009) لفهم التجارب التي تضع الفرد أمام تناقض بين واقعه الاجتماعي وبين الإمكانيات التي يكتشفها في حياته الخاصة.

ويميز بولتنسكي بين "الواقع" الذي يتشكل داخل أنظمة اجتماعية تحدد ما يبدو ممكنًا أو مشروعًا، وبين "العالم" باعتباره مجالًا مفتوحًا لتجارب الحياة وما يمكن أن يحدث. فإذا كانت المحن الواقعية ترتبط بالتوتر بين الممارسات الفعلية والمعايير التي تحملها الأشكال الاجتماعية القائمة، فإن المحن الوجودية تسمح بإعادة النظر في هذه الأشكال وفي الحدود التي تفرضها على الأفراد (نفسه).

ومن هذا المنظور، فإن تجربة المبحوث لا تكشف فقط عن تحول في التوجه الجنسي، وإنما عن إعادة بناء شاملة لعلاقته بذاته وبالعالم الاجتماعي. فقد ارتبط اكتشافه لهويته الجنسية بتغيرات أوسع مست علاقته بالحب، والأسرة، والدين، والسفر، والثقافات المختلفة. وهكذا تصبح التجربة الجنسية جزءًا من مسار أوسع لإعادة تعريف الذات واكتشاف موقعها داخل العالم.

وتبين هذه الحالة أن الهوية لا تتشكل باعتبارها جوهرًا ثابتًا يسبق التجربة، وإنما من خلال مسار تتفاعل فيه الخبرات الفردية مع الشروط الاجتماعية والثقافية المحيطة.

فالفاعل يعيد بناء ذاته عبر الزمن، لكنه يقوم بذلك داخل فضاءات تحمل في الوقت نفسه إمكانات التحرر وأشكال الضبط والرقابة.

غير أن هذا البناء المساري للهوية لا يحدث في فضاء اجتماعي محايد، إذ تظل التجارب الفردية مرتبطة بمعايير تحدد أشكال الاعتراف والقبول داخل المجتمع. فمسارات تشكل الهوية الجندرية والجنسانية تكشف أن الفرد لا يبحث فقط عن فهم ذاته، وإنما يسعى أيضًا إلى إيجاد موقع معترف به داخل فضاء اجتماعي قد يفرض حدودًا على بعض أشكال التعبير عن الذات.

وعليه، فإن تحليل هذه المسارات يسمح بفهم الهوية الجندرية والجنسانية باعتبارها سيرورة مستمرة لإعادة بناء الذات داخل شروط اجتماعية متغيرة. فهي تتشكل عند تقاطع التجربة الشخصية، والعلاقات الاجتماعية، والمعايير الثقافية، والبحث عن الاعتراف. ومن ثم، لا تمثل الهوية نقطة وصول نهائية، وإنما مسارًا مفتوحًا تتفاوض داخله الذات باستمرار حول علاقتها بالجسد والرغبة والمجتمع.

3. المعاناة بوصفها موقعًا للصراع: من نزع الاعتراف إلى إمكانات المقاومة

تذهب جوديث بتلر إلى أن المعاناة لا يمكن فهمها إلا انطلاقًا من المرجعيات الثقافية القمعية التي تعمل ضمن ما تسميه بـ"الأطر"؛ أي تلك البنى المعرفية-الاجتماعية التي تُحدّد شروط إدراك الحياة وإمكان الاعتراف بها. فهذه الأطر لا تعكس الواقع فحسب، بل تُنتج "قابلية الإدراك" ذاتها، عبر تنظيم ما يُعدّ حياةً قابلة للفهم والاعتراف، وما يُدفع إلى الإقصاء منها فيُحرم من شروط الاعتراف ويُعاد تعريفه خارج النظم المعيارية المعترف بها (بتلر، 2009). وفي هذا السياق، تبين بتلر أن إدراك العنف والمعاناة ليس معطى طبيعيًا، بل يتشكل ضمن أنماط ثقافية تُنظّم الانفعالات والأحكام "الأخلاقية" عبر تأطير انتقائي وتفاضلي للعنف، بما يجعل بعض الحيوانات مرئية ومعتبرة، وأخرى مُهمّشة أو غير قابلة للإدراك.

وفي هذا الإطار، تنتقد بتلر صلابة سياسات الهوية حين تتحول إلى أطر مغلقة لإنتاج الذوات بدل تحريرها، مؤكدة أن تثبيت هويات جندرية نهائية قد يعيد إنتاج منطق الإقصاء ذاته. لذلك تدعو إلى تصور أكثر سيولة للهوية، يززع الحدود المعيارية بدل إعادة ترسيخها في انسجام مع دعوتها إلى إعادة التفكير في الأنطولوجيا الجسدية

والسياسة التقدمية بما يسمح بفهم تشكّل الذوات داخل علاقات القوة والمعايير (بتلر، 2009).

وبناءً على ذلك، تُنتج هذه الأطر تمايزًا جذريًا بين حيوات يُعترف بها بوصفها "حيوات قابلة للحزن"، أي حيوات يُنظر إلى فقدانها باعتباره خسارة إنسانية تستوجب الاعتراف والحداد، وحيوات أخرى تُقصى من دائرة الاعتراف والحزن معًا، بما يجعل معاناتها أقل قابلية للظهور والاعتراف الاجتماعي (نفسه). ومن هذا المنظور، يُخضع ذوو/ ذوات التوجهات الجنسية غير النمطية والعاثرون/ات جندريًا لسلسلة من آليات الإكراه التي تمارسها المؤسسات الأسرية والطبية والنفسية من أجل فرض نموذج جندري قسري يقوم على تطابق الجسد مع الهوية المعيارية.

وفي هذا السياق، يتعامل المجتمع بصرامة مع كل من يخرق المعايير الجندرية، ويُنظر إلى هذا الخرق بوصفه تهديدًا يستوجب الضبط والإخضاع. وهكذا تغدو المعاناة، كما تشير جوديث بتلر، أشبه بـ "قدر محتوم" بالنسبة إلى أولئك الذين لا تنسجم حياتهم مع القوالب المعيارية المفروضة، حيث "تُعاد صياغة السعادة اجتماعيًا باعتبارها نتيجة مباشرة لمدى انضباط الفرد لتلك المعايير" (بتلر 2012، 290). وفي المقابل، يُقابل كل خروج عنها بأشكال متعددة من العقاب الرمزي والمادي تُفاقم معاناة الأفراد المختلفين. لذلك تؤكد بتلر أن المجتمع "لا يكتفي بفرض المعايير، بل يتسبب في معاناة هؤلاء الأفراد الذين لا تتوافق حياتهم مع تلك المعايير" (نفسه، 294). وهكذا، لا يتعلق الأمر بضغط اجتماعي عرضي، بل بنظام اعتراف يُحدّد شروط الوجود الاجتماعي ذاته، ويجعل الامتثال للمعايير الجندرية شرطًا لنيل الحماية والاعتراف.

وإذا كانت هذه المقاربة تكشف عن الشروط الاجتماعية-الرمزية لإنتاج المعاناة، فإنها تظلّ في حاجة إلى تعميق فهمها من زاوية القدرة على الفعل بوصفها بُعدًا مركزيًا في تجربة الذات. في هذا الاتجاه، يقدم بول ريكور تصورًا للمعاناة يتجاوز اختزالها في الألم الجسدي أو النفسي على نحو يجعلها مرتبطة أساسًا بتراجع أو حتى انهيار القدرة على الفعل، أي تراجع القدرة على القول والفعل والسرد وتقدير الذات، بما يمسّ من تكامل الذات وعلاقتها بالعالم (ريكور، 1990).

غير أن هذا التعريف، رغم قوته التحليلية، لا يميّز بشكل صريح بين مصادر هذا العجز، وهو ما يدفع فينسون دو غولجاك إلى إعادة صياغة مفهوم المعاناة من منظور

سوسيولوجي يميّز بين "المعاناة الموضوعية" و"المعاناة الذاتية". فالأولى تحيل إلى مجموع الإكراهات البنوية التي تعيق الفعل مثل القمع الاجتماعي والمنع وغياب الموارد وكل ما يتصل بالشروط المادية والمؤسسية التي تحدد إمكانيات الأفراد. أما الثانية فتتعلق بما يعيشه الفرد من صراعات داخلية ونفسية ترتبط بقدراته عن التكيف مع هذه الشروط أو بعجزه. ومع ذلك، يؤكد دو غولجاك أن هذا التمييز يظل نسبياً، لأن المعاناة في الواقع الاجتماعي تتشكل عند تقاطع هذين البعدين، حيث يتداخل القمع الخارجي مع البعد الذاتي على نحو يجعل الفصل بينهما تحليلياً أكثر منه واقعياً (دي غولجاك 2009، 47 - 59).

وتُظهر المعطيات الميدانية التي استقيناها من خلال المقابلات المعمقة مع ذوي التوجهات الجنسية غير النمطية والعابرين/ات جندرياً مدى تجسّد هذا التداخل في التجارب المعيشة حيث لا يمكن فصل ما يفرضه المجتمع من إكراهات عمّا يتشكل داخل الذات من صراعات وتمزقات. ويبين الإطار الثاني في ما سيأتي مثلاً دالاً على هذا التشابك من خلال عرض تجربة إحدى العابرين/ات بأبعادها الذاتية والموضوعية وما تكشف عنه من أبعاد موضوعية وذاتية للمعاناة.

إطار رقم 2: بعض أوجه المعاناة لعابرة جندرية

لقد عشت معاناة حقيقية منذ طفولتي: كنت أتألم ولا أحد يفهمني ولا أستطيع أن أبوح لأحد بأنني لا أنتهي إلى عالم الرجال، حتى عندما حاولت أن أكون مثلهم وألعب مع أولاد الحي كرة القدم كنت أشعر أنني لست مثلهم وكنت أتعرض للتمتر من قبلهم لأنني لست مثلهم. أخي الذي يشغل إطاراً في المستشفى كان يهينني ويصفني بالمأبون. كانت كلمته تقتلني (باكينة) ووصل به الأمر إلى أن جهز ملفاً طبياً ليجيرني على الإقامة بمستشفى الأمراض العقلية. هو لم يفهم بأنني امرأة مسجونة في جسد رجل. لم أعد أستطيع العيش في المنزل ومن يومها وأنا أعيش في الشارع. في البداية كنت أظهر في النهار بلباس الرجال حتى أرضي المجتمع وفي الليل ألبس لباس النساء لأشعر أنني امرأة وأعيش مع هويتي الحقيقية كما أريد. ولكن في الأخير قررت أن أظهر لكل العالم هويتي التي أعيش بها وليس بهوية المجتمع الذي يعرفني بها ويريدني أن أعيش بها. وكما ترينني الآن لا ألبس إلا ملابس النساء وأضع بعض مساحيق التجميل متى توفرت لي وأزيل شعر جسدي ولا أتحمل وجود شعرة واحدة في وجهي. فقد وصل بي الأمر إلى شراء حقّاضات العادة الشهرية وألبسها حتى أشعر بكامل أنوثتي. في فترة ما من حياتي التحقت بمجموعة دينية سلفية لأنني كنت أجد نوعاً من الراحة في لباس القميص الذي كنت أعتبره مثل فستان المرأة. ولا يمكنك أن تتخيلي الرعب الذي كنت أعيشه عندما أكون مع تلك المجموعة، لأنني أخاف من البقاء مع الذكور كما تخاف أي فتاة من التحرش أو الاغتصاب،

لذلك تركتهم وفضلت البقاء وحيدة. في الشارع أيضا أتعرض لكل أنواع التنمر والابتزاز والرفض. فمثلا هناك امرأة كانت تساعدني ببيع الملابس وبعض المال وعندما أخبرتها بقصتي الحقيقية قطعت علاقتها بي نهائيا. ولي أيضا صديقا ناشطا في المجتمع المدني كثيرا ما يتحدث إلي ويريد مساعدتي، لكن بعض يعاتبه على ذلك ويقول له بأن ذلك يحط من شأنه ومن مكانته في المجتمع. عشت موقفا قاسيا جدًا، ولا يمكنني أن أنساه طيلة حياتي: كان أحدهم يساعدني ببيع المال، وفي يوم من الأيام وقف بسيارته رفقة أصدقائه وأشار إلى مناديا. ظننت أنه سيعطيني بعضا من المال ولكن حال وصولي إلى السيارة مسكني من شعري، وأجبرني على الركوع وأخرج عضوه الذكري وأراد أن يجبرني على ممارسة الجنس الفموي وعندما رفضت تبوّل على وجهي. ولك أن تتخيلي ما شعرت به من رعب وإهانة، تمنيت الموت في تلك اللحظة. مع العلم أن فكرة الانتحار لا تفارقني ولولا إيماني بالله لكنت انتحرت منذ فترة طويلة. أنا الآن أعيش بدون بطاقة هوية، تركتها في المنزل عندما غادرته واحتفظت فقط بنسخة تمكنت بواسطتها من الحصول على جارية من وزارة الشؤون الاجتماعية. لكن لم أتمتع بها إلا ثلاثة أشهر لأن أحد الموظفين رفض تسليمي الجارية لأن مظهري الأنثوي لا يتطابق مع مظهري الذكوري الذي أبدو عليه في صورة بطاقة الهوية. أنا لم أكن أرغب أصلا في استخراج تلك البطاقة لولا حرص أمي على استخراجها عندما كنت أدرس بالكالوريا. لا أعتبر أن تلك البطاقة تمثل هويتي، لم أكن أرغب حتى في حملها معي إلا عندما اضطر للتنقل خارج المدينة وأتعمد وضعها في قاع الحقيبة ووضع الحقيبة في الصندوق المخصص للبضائع حتى إذا طلب مني رجل الأمن بطاقة الهوية أتعلّل بأنها في آخر السيارة. فقد كان الاسم الذكوري الذي أسندته إلي العائلة والصورة الموجودة بالبطاقة تتسببان في الكثير من المعاناة النفسية لأنها تذكرني بأنني مجبرة أن أكون كما أراده لي الآخرون، وتذكرني بهوية لا تمثلني، لذلك أفضل أن أبقى بلا بطاقة هوية، ويتم حرمانني من الجارية على أن أتخلى عن هويتي الحقيقية التي لا يفهمها الآخرون. (م، ع، 46 سنة، مارس 2024، الكاف).

يتّضح من هذه الشهادة أنّ المعاناة ليست حدثاً عرضياً أو تجربة فردية معزولة، بل سيرورة اجتماعية ممتدة تُنتجها تفاعلات متعددة المستويات، تتقاطع فيها آليات الضبط الاجتماعي مع تمزقات الذات. فمنذ الطفولة، تتجلى المعاناة بوصفها تجربة مبكرة لـ"عدم القابلية للإدراك" بالمعنى الذي تشير إليه جوديث بتلر، حيث تعجز الذات عن أن تُفهم أو تُعترف بها داخل الأطر الجندرية السائدة. فعبارة "كنت أتألم ولا أحد يفهمني" لا تعبّر فقط عن عزلة نفسية، بل عن موقع بنيوي خارج ما تسمح به الأطر الاجتماعية من إمكانيات للفهم والاعتراف.

ويتعمّق هذا الإقصاء من خلال آليات التنشئة الاجتماعية، حيث يظهر العنف الرمزي في أشكال التنمر والوصم "مأبون". داخل الفضاء العائلي والمدرسي، وهو ما يعكس اشتغال المعايير الجندرية كآليات تصنيف وإقصاء. كما يتخذ هذا العنف بعداً

مؤسساتيًا عندما يُعاد تأويل الاختلاف الجندري بوصفه "انحرافًا مرضيًا"، من خلال محاولة الإخضاع القسري للمؤسسة الطبية. هنا، لا تقتصر المعاناة على الرفض الاجتماعي، بل تتحول إلى ما يمكن تسميته بـ"إلغاء الاعتراف" حيث تُسلب الذات حقها في تعريف نفسها، وتُعاد صياغتها وفق معايير خارجية قسرية.

وفي هذا السياق، تتجسد المعاناة، كما صاغها ريكور، في تقويض القدرة على الفعل، إذ نجد الذات عاجزة عن "القول" (أي التعبير عن الذات والبوح بتجربتها)، و"الفعل" (أي المبادرة والتصرف بدل الاكتفاء بالتكيف القسري)، و"السرد" (أي بناء رواية عن الذات تمنح تجربتها معنى واستمرارية)، و"تقدير الذات" (أي الحفاظ على علاقة إيجابية بالذات والشعور بقيمتها) (ريكور، 1990). فاختيار العيش المزدوج (نهارًا بهوية مفروضة، وليلاً بهوية تنسجم مع سرديتها الذاتية) لا يعكس فقط استراتيجية للتكيف، بل يكشف عن انقسام في علاقة الذات بذاتها، أي عن تعطل القدرة على تحقيق وحدة سرديّة للهوية.

غير أن هذه المعاناة لا يمكن اختزالها في بعدها الذاتي، إذ تُظهر الشهادة بوضوح ما يشير إليه دوغولجاك من تداخل بين "المعاناة الموضوعية" و"المعاناة الذاتية" (دوغولجاك، 2009). فالبعد الموضوعي يتجلى في الطرد من المنزل والعيش في الشارع والتعرض للعنف والحرمان من الموارد والتمييز الإداري المرتبط بوثيقة الهوية. وهي كلها شروط اجتماعية تُقيّد إمكانيات الفعل وتدفع الذات إلى الهشاشة. أما البعد الذاتي فيظهر في مشاعر الخوف والعار والانقسام الداخلي، وحتى الرغبة في الموت، وهي تعبيرات عن معاناة ذاتية تتغذى من هذه الشروط الخارجية.

وتبلغ هذه السيرة ذروتها في لحظات العنف القصوى التي تتعرض لها في الفضاء العام، حيث يتحول الجسد ذاته إلى موقع للإهانة والسيطرة. غير أن أهمية هذه الشهادة لا تكمن فقط في كشفها عن العنف، بل في إبرازها لكيفية إعادة بناء الذات رغم ذلك. فممارسات الأنوثة (اللباس، التجميل، إزالة الشعر، وحتى الرموز الجسدية) تمثل فعلاً رمزيًا لإعادة امتلاك الجسد وإعادة تعريف الهوية، أي كممارسة مقاومة داخل ما سمّته بتلر نظام "الأطر المعيارية" (بتلر، 2009).

كما تكشف العلاقة مع وثيقة الهوية عن بُعد حاسم في إنتاج المعاناة، حيث تتحول الهوية الإدارية إلى أداة إقصاء بدل أن تكون وسيلة اعتراف. إذ يعبر رفض حمل البطاقة

أو إخفاؤها عن رفض لنظام تصنيف نمطي يُجبر الذات على التماهي مع هوية مسندة ومفروضة، بما يعيد إنتاج التوتر بين "ما أعيشه" و"ما يُطلب مني أن أكونه".

وبذلك، تُظهر هذه الشهادة أن مصادر المعاناة لا تقتصر على ما يعيشه أفراد مجتمع ميم عين من قمع وإقصاء، وإنما تتجاوز ذلك نتيجة الفجوة المستمرة بين التجربة الذاتية والمعايير الاجتماعية. إنها معاناة تتشكل عند تقاطع البنى الاجتماعية والتمثيلات الذاتية، حيث يصبح العجز عن التوفيق بينهما مصدرًا دائمًا للمعاناة الاجتماعية. ومع ذلك، تكشف الشهادة في الآن ذاته عن بعد آخر لا يقل أهمية، وهو قدرة الذات على تحويل هذه المعاناة إلى شكل من أشكال المقاومة، من خلال الإصرار على الظهور بهوية تعبر عن ذاتها وتستعيد قدرتها على تعريف نفسها رغم كل آليات الإقصاء.

تُظهر المعطيات الميدانية أن المعاناة التي يعيشها العابرون/ات جندريًا لا يمكن فصلها عن السياق الاجتماعي والسياسي الذي تتشكل داخله. فالمجتمع التونسي، رغم ما حققه من مكاسب في مجال الحقوق الفردية، وخاصة حقوق المرأة، ورغم الديناميكية التي تعرفها الحركات النسوية منذ عقود، لا يزال مجال الحريات الجنسية يمثل فضاءً تتقاطع داخله مسارات الاعتراف بالاختلاف مع استمرار آليات الضبط والوصم الاجتماعي والقانوني. إذ تستمر بعض الجمعيات الحقوقية في الدفاع عن الأقليات الجنسية والعمل على ترسيخ ثقافة الحقوق، غير أنها تصطدم بجملة من الإكراهات القانونية والثقافية التي تحدّ من فاعليتها. فعلى المستوى القانوني، يكرّس استمرار تطبيق الفصول التي تُجرّم العلاقات الجنسية الرضائية بين المثليين/ات، أو تلك المرتبطة بما يُسمى "الاعتداء على الأخلاق الحميدة" و"التجاهر بالفحش"، إطارًا مؤسسيًا لإنتاج المعاناة، بما يحول القانون ذاته إلى أداة إقصاء وتجريد من الحماية.

أما على المستوى الثقافي، فتتجلى المعاناة في التوتر القائم بين منظومات معيارية متعارضة، حيث تستمر هيمنة تمثيلات تقليدية ونمطية للجنس والجنسانية، تُؤسس لثنائية صارمة بين ما يُعتبر "طبيعيًا" و"مرضيًا" "منحرفًا"، وتُضيف على هذا التقسيم شرعية دينية وأخلاقية. هذا ما يجعل كل خروج عن هذه المعايير خرقًا يستوجب الضبط والعقاب، يعمّق إقصاء الأفراد الذين لا تنسجم تجاربهم مع هذه الأطر المهيمنة.

في هذا السياق، لا تقتصر المعاناة على كونها نتيجة لبنية قانونية أو ثقافية، بل تتحول إلى تجربة معيشة داخل علاقات السلطة، ممّا يجعل الصراع ضد الهيمنة صراعًا

ضد المعاناة ذاتها. فالسير الحياتية لأفراد مجتمع الميم عين تكشف عن صراع مستمر من أجل انتزاع الاعتراف ومقاومة أشكال التهميش والهشاشة، سواء داخل الفضاء الخاص أو العام. غير أن هذه المعاناة تتعمق حين تتحول مؤسسات الدولة التي يُفترض أن تضمن الحقوق إلى فاعل مباشر في إنتاجها.

ويتجسد ذلك بوضوح في الشهادة التالية، التي يروي فيها أحد العابرين الجنسيين تجربته مع المؤسسة الأمنية:

"تم إيقافي أنا وصديقي من قبل الأمن فقط لأن مظهرنا كان مختلفا. في مركز الأمن قاموا بتصفح هواتفنا الجوال. تعرضنا لأبشع ممارسات العنف والإهانة والاحتقار. أدخلونا للغرفة الخاصة بالسجينات وطلبوا متهن أن يتحرشن بنا، نزعوا ملابسنا وطلبوا منا أن نلبس الملابس الداخلية النسائية. كنت أنظر لقطة في الحديقة عبر نافذة الغرفة وكنت أقارن بيني وبينها وكنت أقول في نفسي أن الحيوان في بلدي له كرامة ويتمتع بحرية أكثر مني، تمنيت أن أكون قطة ولا أعيش كل هذا الذل" (عابرة جندرية، 28 سنة).

تكشف هذه الشهادة عن انتقال المعاناة من مستوى الإقصاء الرمزي إلى مستوى العنف المؤسسي الذي يصبح فيه الجسد ذاته موضوعاً للتأديب والاحتقار. وهي بذلك تجسد تداخل "المعاناة الموضوعية"، المرتبطة بممارسات القمع والإكراه مع المعاناة الذاتية التي تتجلى في الشعور بالإهانة وفقدان القيمة الإنسانية ممّا يفضي إلى تصدع صورة الذات.

وفي هذا السياق، لا تتحدد المعاناة فقط من خلال البنيات والمؤسسات، بل أيضاً من خلال العلاقات التداوتية التي تقوم على الاحتقار أو التجاهل أو العنف الرمزي. فكما يشير فراسوا ديباي، فإن أسباب المعاناة "لا تكمن كلها في النظام، ولكن أيضاً في الآخرين الذين يتحرشون ويحتقرون ويتجاهلون" (ديباي 2000، 75)، هذا ما يستدعي توسيع التحليل ليشمل التفاعلات اليومية باعتبارها مجالاً تتوسط فيه علاقات الآخرين تجربة الذات، إذ تتحول مواقف الاحتقار أو التجاهل أو الرفض إلى خبرات اجتماعية تسهم في إنتاج الشعور بالدونية وتقويض الاعتراف بالذات.

غير أن ما تكشفه مسارات العبور الجندري هو أن هذه المعاناة، رغم حدتها قد تتحول إلى مورد لإعادة بناء الذات. فإعادة تشكيل الجسد واعتماد ممارسات جندرية مغايرة تمثل فعلاً رمزياً يُعاد من خلاله إنتاج الهوية خارج القوالب المفروضة، على نحو يفتح أفقاً لإعادة التفكير في الأسس الاجتماعية لبناء الجندر.

وتتجلى هذه القدرة على إعادة تعريف الذات وعلاقتها بالجسد بوضوح في الشهادة التالية:

"لقد أرغموني على أن أكون بجسد رجل بإعطائي الهرمونات الذكورية، فبدأت أشعر لحياتي بالبروز، كنت أشعر بالموت ألف مرة كلما برزت شعرة جديدة، كنت أشعر بالموت وأنا أنظر لجسدي الأنثوي وهو يتحول إلى جسد ذكوري، أردت أن أنتقم من ذلك الجسد الذي فرضه علي الطبيب والمجتمع... كنت أقول للجميع لتنظروا لهذا الجسد حتى الشيع فهو جسدكم وليس جسدي".... (عابرة جندرية، نفسه).

تعكس هذه الشهادة بوضوح أن فهم المعاناة يتطلب الانتباه إلى المشاعر كمدخل أساسي لفهم هذه التجارب. وفي هذا السياق، تؤكد ميشال كليمان أن "المشاعر يجب أن تصبح إحدى الخصائص التي يفسر من خلالها علم الاجتماع المعاناة [...] إذ تصبح لدينا إمكانية لتكون كائنات علائقية، وهذا لا يمكن أن يتحقق إلا عندما تلعب المشاعر دوراً كبيراً في السلوكيات الإنسانية، لأن هذه العلاقات تفقد كل معانيها في غياب المشاعر التي تسكنها" (كليمان، 2018، ص 47-69).

ومن هذا المنظور، تُفهم المعاناة فقط من خلال التجارب الوجدانية التي تعيد تشكيل علاقة الفرد بذاته وبالآخرين. هذا ما يفسر تكرار تعبير المبحوثين عن عجز الآخر عن فهمهم أو الاعتراف بمشاعرهم وهوياتهم، فينتقل غياب الاعتراف إلى جرح عاطفي وهوياتي دائم يعمق الإحساس بالعزلة.

غير أن هذه المعاناة لا تظل سلبية بالكامل، إذ قد تتحول، كما يشير دي غوليچاك، إلى "معاناة خلاقة"، أي تلك التي تدفع الأفراد إلى تطوير استراتيجيات مقاومة وإعادة تعريف لذواتهم، سواء من خلال التمسك بهوياتهم أو من خلال السعي إلى فرض حضورهم في الفضاء العام رغم كل أشكال الإقصاء. وبذلك لا تكشف المعاناة فقط عن حدود النظام الاجتماعي، بل تفتح أيضاً أفقاً لتحليل أشكال المقاومة اليومية التي يطورها الأفراد في مواجهة الهيمنة، حيث يتحول الألم من تجربة تهميش إلى قوة نقدية قادرة على مساءلة شروط الاعتراف وإعادة صياغتها.

خاتمة

لقد حاولنا من خلال هذا العمل إلى إبراز الإسهامات النظرية للعلوم الاجتماعية في تناول موضوع ظل لفترة طويلة هامشياً في السوسيولوجيا العربية، رغم مركزيته في

التحولات التي شهدتها المجتمعات المعاصرة. فقد أظهرت المقاربات الجندرية، منذ سبعينيات القرن الماضي، حدود التصنيفات الثنائية التي اختزلت الهوية في تطابق بين الجنس والجندر، وفتحت المجال أمام فهم أكثر تعقيداً للهوية باعتبارها سيرورة متعددة، مرنة، ومتشابكة مع السياقات الاجتماعية والثقافية.

وقد يَبين التحليل أن الهوية الجندرية لا تُفهم إلا من خلال هذا التوتر المستمر بين ما تفرضه المعايير الاجتماعية وما يعيشه الأفراد من تجارب ذاتية ووجدانية. وفي هذا السياق، تبرز المعاناة بوصفها تجربة مركزية تكشف عن هذا التمزق، لكنها في الآن ذاته لا تقتصر على كونها نتيجة للإقصاء، بل قد تتحول إلى مورد لإعادة بناء الذات ومساءلة أنظمة الهيمنة.

وتُظهر السير الحياتية لأفراد مجتمع الميم عين أن استجاباتهم لهذه المعاناة تتخذ أشكالاً متعددة تتراوح بين المواجهة، والتفاوض، والانسحاب. ويعكس ذلك تنوع استراتيجيات التفاعل مع القيود الاجتماعية. ومن هذا المنظور، لا تفتح دراسة المعاناة أفقاً لفهم الهشاشة فقط، بل أيضاً لفهم إمكانات المقاومة اليومية التي يطورها الأفراد لإعادة تعريف ذواتهم وانتزاع الاعتراف. وبذلك، يظلّ السؤال مفتوحاً حول الشروط الاجتماعية التي تمكّن من تحويل هذه المعاناة من تجربة إقصاء إلى قوة نقدية قادرة على إعادة تشكيل العلاقات الاجتماعية ومعاييرها.

بيليوغرافيا

المحواشي، المنصف. (2018). "الإنجازية" في الخطاب الجندري، أو كيف تصنع الكلمات الأشياء؟ أعمال جوديت بتلار مثلاً. "مجلة معهد الآداب العربية بتونس (IBLA)"، السنة 81، العدد 221، ص ص. 83-105.

Ahmed, Sara. 2004a. "Collective Feelings, Or the Impressions Left by Others." *Theory, Culture, and Society* 21(2): 25-42.

Becker, Howard S. 1985. *Outsiders. Études de sociologie de la déviance*. Paris: Métailié.

Boltanski, Luc. 2009. *De la critique. Précis de sociologie de l'émancipation*. Paris: Gallimard.

- Bourdieu, Pierre. 1998. *La domination masculine*. Paris: Seuil.
- Brekhus, Wayne et al. 2003. *Gay Suburbia and the Grammar of Social Identity*. Chicago: University of Chicago Press.
- Butler, Judith. 2005. *Trouble dans le genre. Le féminisme et la subversion de l'identité*. Traduit par Cynthia Kraus. Paris: La Découverte. Orig. (1990).
- . 2009. *Ces corps qui comptent. De la matérialité et des limites discursives du "sexe"*. Trd. Charlotte Nordmann. Paris: Éditions Amsterdam. Orig. (1993).
- . 2010. *Ce qui fait une vie. Essai sur la violence, la guerre et le deuil*. Trad. Joëlle Marelli. Paris: Zones. Orig. (2009).
- . 2016. *Défaire le genre*. Trad. Maxime Cervulle. Paris: Éditions Amsterdam. Orig. (2004).
- Clément, Michèle. 2018. « Sociologie, souffrance et compassion ». *Cahiers de recherche sociologique* n° 65: 47-69.
- Coleman, William. 1982. *Death is a Social Disease: Public Health and Political Economy in Early Industrial France*—Madison: University of Wisconsin Press.
- Dubet François. 2000, *Les inégalités multipliées*, Éditions de l'Aube.
- Gaulejac, Vincent De. 2009. « Souffrances objectives, souffrances subjectives ». In *Destins politiques de la souffrance*, 47-59. Toulouse: Érès.
- Goffman, Erving. 2002. *L'Arrangement des sexes*. Trad. de l'anglais par Hervé Maury. Paris: Éditions La Dispute.

- Malrieu, Philippe et Simone Malrieu. 1973. « La socialisation ». In *Traité de psychologie de l'enfant*, vol. 5, edited by Hélène Gratiot-Alphandéry et René Zazzo. Paris: PUF.
- Revillard, Anne et Laure De Verdalle. 2006. « Dynamiques du genre ». *Terrains & travaux* 10 (1): 3-17.
- Scott, Joan W. 1986. «Gender: A Useful Category of Historical Analysis». *The American Historical Review* 91(5): 1053-1075.
<https://doi.org/10.2307/1864376>
- Stoller, Robert J. 1978. *Recherches sur l'identité de genre : Sex and Gender*. Trad. de l'anglais par Jean-Bertrand Pontalis et Lyane L. Lamant. Paris: Payot. (Édition originale: *Sex and Gender: On the Development of Masculinity and Femininity*, New York, Science House, 1968).
- Tobin, Desiree D., Madhavi Menon et al. 2010. «The Intrapsychics of Gender: A Model of Self-Socialization ». *Psychological Review* 117(2): 601-622.